المحتويات

المقدمة ١

المبحث الاول ٢

الاوضاع السياسية في عهد المستنصر بالله ٢

أحداث خلافة المستنصر ٣

السيدة رصد ٤

معركة كوم شريك ٧

المبحث الثاني ٩

المجاعات والأوبئة في مصر خلال حكم المستنصر بالله الفاطمي الشدة العظمى ٩

.العوامل البشرية ٩

ثانياً: الأزمة الاقتصادية في خلافة المستنصر بالله ١١

المبحث الثالث ١٥

الشدة المستنصرية أسبابها ١٥

أولاً: أسبابها ١٥

ثانياً: مظاهرها ١٩

نتائج الأزمة وآثارها ٢٤

الخاتمة ٢٨

المصادر ٣٠

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيراً وبعد،،، اتسعت مجالات الدراسات التاريخية وتنوعت اهتماماتها، بحيث شكلت أنماطاً جديدة ومغايرة للكتابات التاريخية المتعارف عليها، ولعل من أهها ما اصطلح على تسميته بـ "التاريخ للأزمة" حيث ظهر مع التطور الحاصل الذي شهدته الكتابة التاريخية، فتعددت اهتماماتها لتشمل إضافة إلى تاريخ الأزمات: التاريخ الاقتصادي والاجتماعي، وهو ما أعطت هذه الدراسات للتاريخ صيغة أكثر خصوصية. لقد شهدت مصر في الفترة الإسلامية أزمات وكوارث عديدة، مثلها مثل باقي الأقاليم، عرفت المنطقة على إثرها سلسلة من التحولات الكبرى والانعطافات الحاسمة في مسارها التاريخي، فكانت أزمتا الجوع والوباء من أشد البلايا وقعا على هذا المجتمع، خاصة وأنها أفرزت واقعا مريرا صعب على إنسان مصر معايشته في تلك الفترة، إذ تعتبر هذه الفترة من أحلك الفترات التي عاشها المصريون تحت الحكم الفاطمي، فلم تقع بالناس مثل هذه المجاعة التي حدثت في عهد "المستنصر بالله" والمعروفة تاريخيا بالشدة المستنصرية أو الشدة العظمى التي استمرت سبع سنوات، إذ تهدف هذه الدراسة إلى اسباب المجاعات من حيث إيضاح جذورها والعوامل التي ساعدت على نشأتها والمؤثرات المختلفة التي ساهمت في ظهورها. البحث من فلا يخفى علينا أن المجتمع المصري وعبر محطاته التاريخية قد شهد بعض المجاعات والأوبئة وما ترتب طبها من فوضى ولصوصية، وقطع الطريق نتيجة الوضع الاقتصادي المتردي، وهو الأمر الذي حاولنا أن نبحث فيه من خلال طرحنا لهذا الموضوع انطلاقا من البحث في العوامل التي أدت إلى ظهور المجاعات والآثار والمظاهر المترتبة عليها، لذلك تكمن أهمية الموضوع من كونه أحد الموضوعات التاريخية التي تمس تاريخ المجتمعات وتعكس طبيعة الأحداث الجارية في الواقع الاقتصادي والاجتماعي للمجتمع المصري أنذاك.

المبحث الاول

الاوضاع السياسية في عهد المستنصر بالله

هو أبو تميم معد المستنصر بالله بن أبي الحسن علي الظاهر لإعزاز دين الله بن أبو علي منصور الحاكم بأمر الله بن نزار العزيز بالله ابن أبي تميم معد العز لدين الله بن أبي الطاهر إسماعيل المنصور بالله بن أبي القاسم محمد القائم بأمر الله بن المهدي عبيد الله بن الحسين الحبيب بن أحمد الوفي بن عبدالله الرضي بن محمد المكتوم بن إسماعيل بن جعفر الصادق ابن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب [١] – رضي الله عليه. ولد في مصر في السادس عشر من جمادي الأولى من سنة ٤٢٠هـ / ١٠٢٩م [٢]

ولاه والده الخليفة الظاهر لإعزاز دين الله ولاية العهد سنة ٤٢١هـ / ١٠٣٦م وله من العمر ثمانية أشهر. [٣] تسلم مقاليد الخلافة بعد وفاة والده إذ جرت مراسم بيعته يوم الخميس التاسع من شعبان سنة ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م وله من العمر سبع سنوات وأشهر، وبموجب هذه البيعة أصبح أبو تميم إماماً وتلقب بأمير المؤمنين[٤] ، فضلاً عن ذلك تلقب المُستنصر بالله. وصفه بعض المؤرخون أنه كان عادلاً حسن السيرة محبوبا من الرعية، وكان يخالط الناس، ويستمع إلى شكواهم ، وأنه كان كريماً جودا إذ جعل ما في قصره للعامة، فكانت خزانة الشراب التي : القصر والتي تحوي على الأدوية مفتوحة بأمره يعطي منها لمن يطلبها من عامة الناس، وقد مدحه الشعراء بشعر كثير في قصائدهم ، [٥] ومن أولاده أبو القاسم أحمد الأصغر وأبو المنصور نزار وأبو القاسم محمد وعبدالله أبو علي داود وابو الحسن جعفر وغيرهم. توفي سنة

---

[١])جمال الدين ابن ظافر الأزدي أخبار الد ول المنقطعة، تحقيق: اندريه فريه ن القاهرة، دط،١٩٧٢م، ص ٧ ؛٦

[٢])أبو يعلى حمزة ابن الفلانسي ذيل تاريخ دمشق، تحقيق: آمد وز، مطبعة اليسوعيين ، بيـ وت، دط، ١٩٨٠ م، ص ٤ ٨

[٣])المقريزي، المصدر السابق ٣ ٩ ٢ ,١٧

[٤])أبو علي منصور الجوذري، سيرة الأستاذ جو ذ وية توقيعات الأئمة الفاطميين، تحقيق: محمد كامل حسين وعبدالهادي ابو شعيرة. د م، القاهرة، دط،١٩٥٤م، ٤ ٤

[٥])الشيرازي هبة الله بن موسى ، ديوان المؤيد في الدين الشيرازي، تحقيق، محمد كامل حسين، د. ن القاهرة، دط.١٩٤٩ م ص ٧ ٢

٤٨٧ هـ / ١٠٩٤م وعمره يومئذ سبع وستون سنة وخمسة أشهر، فكان أطول الخلفاء عهداً إذ دامت مدة خلافته ستين سنة وأربعة أشهر ، وقد خطب له من على كافة المنابر من المحيط الأطلسي غرباً إلى البحر الأحمر واليمن والحجاز وبغداد والموصل ، كان نقش خاتمه بنصر السميع العليم ينتصر الإمام أبو تميم ( )[١]

أحداث خلافة المستنصر

لقد تعرضت مصر على امتداد التاريخ الفاطمي لعدد من الأزمات والنكبات الاقتصادية التي تكاتفت عوامل متعددة واتحدت مجتمعة لإحداثها المجاعات والأوبئة وانهيار الاقتصاد المصري أنذاك، مما كان له تأثير على حياة السكان في العصر الفاطمي. ( )[٢]

وعلى الرغم من ازدهار الاقتصاد المصري في فترة الخلفاء الفاطميين الأوائل وتمتع عامة الشعب في بعض الأحيان بالرفاه الاقتصادي، ومحاكاتهم للحكام والطبقة الخاصة في حياة الترف والبذخ التي كانوا يعيشونها، إلا أنه سرعان ما يتكدر صفو الحياة، فالاستقرار الاقتصادي لم يظل على وثيرة واحدة المجاعات والأوبئة في مصر خلال حكم المستنصر بالله الفاطمي "الشدة العظمى أنموذجا" ٤٥٧ – ٤٦٤هـ / ١٠٦٥ – ١٠٧١ طوال ذلك العصر، حيث أن عوامل الانهيار الاقتصادي كانت تتكاثف، وتتحد من وقت إلى آخر معلنة عن وجودها، مهددة لاستقرار الشعب وحياتهم الاقتصادية ( )[٣]

فبدأت الأزمات الاقتصادية بالظهور، وبلغت ذروتها في عهد الخليفة الثامن من خلفاء الدولة الفاطمية وهو المستنصر بالله، وهنا نعرض ترجمة مختصرة للخليفة وكيفية وصوله إلى الخلافة حتى يتسنى لنا معرفة عهده.

شهد أواخر عهد المستنصر ٤٢٧هـ – ٤٨٧هـ عدة اضطرابات عظيمة في البلاد، منها: ( )

١– أن الجند السودانيون يثيرون الاضطرابات في الوجه القبلي.

( )ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن الأتابكي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، ١٩٩٢م، ص ١

( ) ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت، ١٣٩٧، ١٩٧٧م، ٥ ٤ ١

( ) عارف تامر، الدولة الفاطمية الكبرى، المكتبة الفاطمية ، دار آل البيت، ط ١، ١٠٧ صـ ٧ ٨

( ) الذهبي: سير أعلام النبلاء، تحقيق : مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة : الثالثة ١٤٠٥هـ ، ١٩٨٥م، ٩ ٧ ١

٢- ونحوًا من أربعين ألف فارس من قبيلة لواتة والأعراب، تحت زعامة ناصر الدولة الحسين بن حمدان التغلبي المتمرد على الخلافة العبيدية الفاطمية، يغيرون على الوجه البحري وينهبون بلاده ويحطمون الجسور والقنوات، مما ترتب عليه انقطاع المئونة عن القاهرة والفسطاط.

٣- وفى سنة ٤٦٢هـ بعث ناصر الدولة إلى ألب أرسلان سلطان السلاجقة بالعراق رسولًا من قبله يسأله أن يرسل إليه عسكرًا ليقيم الدعوة العباسية بمصر على أن تؤول إليه السيادة على مصر، فرحب أرسلان بذلك، ولكنه انشغل بمحاربة الروم عن مصر.

٤- وفى سنة ٤٦٤هـ قطع ابن حمدان اسم المستنصر من الخطبة في الوجه البحري، وبعث إلى الخليفة القائم العباسي ببغداد يلتمس الخلع، ثم قدم إلى الفسطاط وتولي الحكم في القاهرة، وأطلق للخليفة مائة دينار كل شهر وخشي الأتراك على أنفسهم من جراء استبداد ناصر الدولة بالأمور في القاهرة، فدبروا لقتله فقتل وتتبعوا كل أفراد أسرته بمصر وتخلصوا منهم.

٥- ثم تسلطت الأتراك، واستبدوا بالأمور دون المستنصر سنة ٤٦٦هـ.

السيدة رصد

هي السيدة والدة الخليفة ، وزوجة الخليفة الفاطمي الظاهر لاعزاز دين الله بن الخليفة الحاكم بأمر الله بن الخليفة العزيز بالله أبي المنصور عزان بن المعز لدين الله أبي تميم معد بن الخليفة المنصور بنصر الله ابي الظاهر أسماعيل بن الخليفة القائم بأمر الله أبي القاسم محمد بن الخليفة عبد الله المهدي ( ) التزمت أكثر المصادر التاريخية الصمت حول تفاصيل عن حياة تلك السيدة ولاسيما اسمها شأنها في ذلك شأن اغلب زوجات الخلفاء الفاطميين انطلاقا من مبدأ الستروفق العقيدة الفاطمية، وقد علق محمد كمال السيد حول هذه المسألة قائلاً:فإذا انتقلنا إلى الدولة الفاطمية في مصر فقد ذكرنا الحرج من ذكر السيدات بأسمائهن وإن كان يشار إليهن بالجهة أو الدار فلم يكن من السهل على المؤرخين أو لم يكن جديراً بأهتمامهم معرفة جميع سيدات القصور .... ( ) لكن المقريزي ذكر بأن اسمها رصد فالسيدة رصد أمة سوداء من بلاد السودان أو من بلاد النوبة ، والأرجح من بلاد النوبة ، فقد عرف عن الفاطميين ولعهم بشراء النساء النوبيات

( ) ابن تغري بردى ، ابو المحاسن الاتابكي ت ٨٧٤هـ ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ط ١، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، ١٩٩٢م ج ١، ص ٣٧٩-٣٧٣ كحالة ، عمر رضا ، الاعلام

( ) المقريزي ، أتعاظ الحلفاء باخبار الائمة الفاطميين الخلفاء،ص٤١٢

اللواتي أشتهرن بالحسن والجمال وذلك بموجب معاهدة البقط مما زاد من عددهم في مصر ولاسيما في عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي تلبية لمطالب والدته والتي ناصرت بني جنسها فهي من الاصل كانت جارية أبي سعد التستري ( ) فاستخدمه الخليفة الظاهر[1] لاعزاز دين الله الفاطمي في أبتياع ما يحتاج اليه من صنوف الامتعة ( ) ، وتقدم عنده فباع له جاريّة سوداء تحظاها وولدت له المستنصر مما مهد لها الطريق في الوصاية عليه في بادئ الأمر وبمساعدة التستري رئيس ديوانها ، ثم تفاقم الوضع وتحول الى السيطرة التامة على مقاليد الحكم فاستمرت بالحجر على ولدها الخليفة المستنصر بالله وتحكم عوضا عنه ، حتى بعد بلوغه سن الرشد مما تسبب في تضييق دعائم حكم ابنها ويذكرها كحالة عند ترجمته لها قائلاً : من ربات النفوذ والسلطان ..... ( ) ، بينما يصفها عارف تامر[3] وهو من المهتمين بالفكر الاسماعيلي قائلاً: كانت على جانب كبير من الذكاء والفهم وبعد النظر ، تضع الأمور في محلها ، وتحكم على القضايا المعروضة بالواقع والعقل لقد بدت لنا شخصية والدة المستنصر واضحة في قوتها ومكانتها ، وسيطرتها على الاوضاع السائدة في القصر الفاطمي ، فبعد وفاة زوجها الخليفة الظاهر لاعزاز دين الله الفاطمي سنة ٤٢٧هـ / ١٠٣٦م ( )[4]

وتولي ابنها الخليفة القاصر المستنصر بالله الخلافة في النصف من شهر شعبان من السنة نفسها ، تولت أمه الوصاية عليه . ويبدو لنا ان الجواري في المجتمع الفاطمي كن يصلن الى أعلى المراتب في السلم الاجتماعي بزواجهن من الخلفاء ، فيصبحن زوجات خلفاء وامهات خلفاء ويتسلطن على أمور الدولة من هذا الطريق كان للسيدة رصد قصرها الخاص بها ، إذ كانت تقيم آنذاك في قصر اللؤلؤة الذي بناه الخليفة الظاهر ، والذي يعد من احسن متنزهات القاهرة اذ

( ) ابن خلكان ، أبي العباس شمس الدين احمد بن محمد ت ٦٨١هـ ، وفيات الأعيان وانباء ابناء الزمان ، تحقيق : أحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، د.ت ، جه ، ص٢٢٩

( ) المقريزي ، أتعاظ الحلفاء ، ٢٠٢١ ، ج ٢، ص ٤٥

( ) الزركلي ، خير الدين ، الاعلام قاموس تراجم لاشهر الرجال والنساء ، طه ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ١٩٨٠، ٧ص٢٢٦

( ) ياقوت الحموي ، ابو عبد الله الرومي البغدادي ت ٦٢٦هـ ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ١٩٥٣، ج ١، ص ١٩١

امتاز بحسن الموقع فالجالس فيه يتمتع بالمناظر الخلابة المتمثلة بكثرة الحدائق ومياه النيل الزرقاء التي تعكس لون السماء ، فامتلكت عشاري [١].

خاص محلى بالفضة عُرف بالفضي لتتنزه فيه عمله لها أبو سعد التستري سنة ٤٣٦هـ / ١٠٤٤م ولقد قدرت الفضة التي استعملت فيه بمئة ألف وثلاثين ألف درهم ، وأما أجرة صناعته فبلغت ألفين واربعمائة دينار ، فضلاً عن ايراداتها المالية الكثيرة الخاصة لها فقد امتلكت أربعة الاف سرج وآلات فضة فكانت خزائنها تشبه خزائن الخلفاء وزيادة على ذلك فقد أتخذت هذه السيدة ديواناً خاصاً لادارة شؤونها ومتعلقاتها إلا انها حولته الى مكان تحكم من خلاله الدولة ، كما أتخذت لنفسها العلامة للتوقيع على الأوراق الرسمية وهي : الحمد الله ولي كل نعمة وتمتعت بالكثير من الالقاب والامتيازات وهذا يدل على تحكمها بمجريات الأمور ، فكان يطلق عليها لقب مولاتنا والذي استعمله الخلفاء العباسيون والفاطميون على السواء [٢] .

وكان الرجال يخاطبونها في حضرة أبنها الخليفة المستنصر بالله الفاطمي بـ مولاتنا. وقد تلقبت بالسيدة الملكة وكان يشار اليها بالجهة الجليلة والستر الرفيع لاشك ان امتلاك المال المستقل الذي تتمتع به السيدة رصد في دولة أبنها يضيف لها بعداً جديداً في التصرف بشؤون الحكم واستخدام الأعوان والإتباع من بني جنسها ، ففي سنة ٤٤٠هـ / ١٠٤٨م أكثرت من شراء العبيد السود حتى صار عددهم في خلافة ابنها المستنصر بحدود خمسين الفار فاصبح هذا العدد فرقة من فرق الجيش الفاطمي وكان هدفها في ذلك ان يسود السود على الترك التي كانت تكن كل الحقد عليهم فأكثرت من شراء العبيد وحرضت ابنها على ذلك وهناك رواية أخرى تبين ثروة وممتلكات السيدة رصد في خزائن القصر، فيذكر انه عندما ازدادت سطوة الأتراك وشدتهم على الخليفة المستنصر بالله الفاطمي وكان جملة ما أخذوه من خزائن الخليفة وما أخرج من خزانة السيدة أم المستنصر بالتحديد والذي قُدْر بأربعة الاف مثلها أو دونها صنع بها مثل ذلك واخذ منها الات فضية وزنها ثلاثمائة الف وأربعون ألف درهم ، تساوي ستة دراهم بدينار

( ) محمد عبد الرحمن الريطي ، القبائل العربية في صعيد مصر ، ط ١، القاهرة ، د.ت.ص ١٠٢؛ حبيب ، فهمي عبد الجواد ، علاقة مصر ببلاد النوبة في الجنس والدين ، مجلة الرسالة ، ع ٢١٦، السعودية ، ١٩٣٧، ص ١٣٧٤.

( ) احمد بن يحيى بن جابر البلاذري ، ت ٢٧٩هـ ، فتوح البلدان ، مراجعة وتعليق : رضوان محمد رضوان، بيروت، لبنان، ١٩٩١، ص ٢٣٨

أمتاز عهد الخليفة المستنصر بالله الفاطمي ولاسيما في الفترة التي ظهرت فيها والدة المستنصر على المسرح السياسي وتصرفت بشؤون الحكم ٤٣٦ – ٤٦٣هـ / ١٠٤٤ – ١٠٧١م بأضطراب أمور الدولة والتي كانت تدار على أيدي عدد من الوسطاء الذين كانت جهودهم الرئيسية موجهة لمحاولة الاحتفاظ بالوضع القائم . وكثرة تعيين وعزل بعض الوزراء ، وعبر ابن القلانسي عن ذلك الحال فيقول: وقلت الاقوات واضطربت الاحوال واختلت الاعمال [١]

معركة كوم شريك

تعتبر البحيرة قنطرة الاسلام. ففي ٢٠ هـ انتهى الحصار الذي ضربه عمرو بن العاص على حصن بابليون لمدة سبعة أشهر. وبعدها ركب بخيله عبر الصحراء متوجها للاسكندرية فالتحم مع الروم في ترنوط التى تسمي حاليا الطرانة وهي احدى قري مركز حوش عيسي .فانتصر عليهم وكان بها حصن منيع.

واقام عمرو بها بضعة ايام حتى تشتت شمل السفن الرومية وتقهقر القائد الرومي تيودور إلى الاسكندرية فبعث اليه عمرو بن العاص احد قواده ويدعى شريك بن سمى بن عبد يغوث بن جزء المرادي وهو من صحابة رسول الله ص ، ليقضي على فلول الجيش الرومى المهزوم. [٢]

فادركة الروم عند قرية تقع في شمال الطيرية فقاتلهم فاعتصم بمنطقة تسمي الكوم حتى ادركتة الامدادات التى ارسلها له عمرو مع احد قواده ويدعى مالك بن ناعمه الصدفي الذي انقض على الروم بفرسه من اعلى الكوم وواقعهم فلم يستطيعوا تضييق الخناق على القائد المسلم فسميت تلك المنطقة باسم كوم شريك نسبة إلى شريك الفارس العربي المسلم .ثم سار عمرو بن العاص بعد ذلك بمحاذاة الترعة التى تلي الصحراء في اتجاه الشمال الغربي حتى وصل إلى الدلنجات ومضي في طريقه حتى اعترضت حامية الروم عند سنطيس وهى في جنوب دمنهور بسبعة كيلو مترات وهناك دارت المعركة وانتصر المسلمون ولاذ الروم بالفرار واستمر عمرو في زحفه نحو دمنهور فبدد بها شمل العدو واتجه إلى الاسكندرية وقطع مسافة عشرين ميلا حتى بلغ حصن الكريون والكريورن بلدة بالقرب من قرية معمل القزاز بكفر الدوار وحصن الكريون كان

( ) الحسن بن أبي محمد عبد الله ت بعد ٨١٧هـ نزهة الممالك والمملوك في مختصر سيرة من ولي مصر من الملوك ، تحقيق : عمر عبد اللا مرتمري طلب المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت، ٢٠٠١، ص ١٢٠

( ) محمد رمزي، القاموس الجغرافي للبلاد المصرية من عهد قدماء المصريين إلى سنة ١٩٤٥م القسم الثاني البلاد الحالية، دار طبعة الهيئة العامة للكتاب ١٩٩٤طبع ٣ ٣٩

اخر حصن رومي قبل الاسكندرية حيث اوى اليه الروم خشية هجوم المسلمين عليهم وعند الكريون دارت رحي القتال بين الروم والمسلمين سنة ٢٠ هـ وسقط الحصن في ايدي العرب فكان انتصارهم على الروم في تلك الموقعة انتصارا حاسما . فأصبح الطريق مفتوحا أمام قوات عمرو إلى الاسكندرية. فسارزا حتى وصلوا إلى اسوارها ففتحها وأبرم عمرو عقد الصلح سنة ٢٥ هـ مع المقوقس كبير الاقباط والحاكم العام باسم الروم في الاسكندرية وقتذاك. وجعل عمرو القائد المسلم وردان واليا علىالاسكندرية .ثم سار عمرو من الكريون نحو الشرق على ضفاف النيل في الحوف الغربي وهو الاسم الذي اطلقة العرب على اقليم البحيرة حتى وصل إلى اخنا ادكو حاليا فضرب الحصار حولها .وعرض الاسلام على اهلها فاسلموا. وتم الصلح كما تم مع قزماس حاكم رشيد وحنا حاكم البرلس. و وصل المسلمون إلى دمياط وبهذا تمت لهم السيطرة على منافذ النيل على بحر الروم البحر الأبيض المتوسط الذي اصبح بعد ذلك بحيرة اسلامية أيام الخلافة الأموية.( )[١]

( ) الأسعد بن مماتي، قوانين الدواوين، تحقيق عزيز سوريال عطية، مكتبة مدبولي، القاهرة ، مصر، الطبعة الأولى، ١٩٩١م، ص ١٧٣

المبحث الثاني

المجاعات والأوبئة في مصر خلال حكم المستنصر بالله الفاطمي الشدة العظمى

فقد كان النيل مؤثراً في حدوث لمجاعات، فمثلاً قبيل دخول الفاطميين إلى مصر حدثت أزمة سنة ٣٥٢ هـ / ٩٦٣م وذلك في عهد الدولة الإخشيدية، واستمرت إلى مجيء الفاطميين إليها، حيث حدث في تلك السنة أن توقفت زيادة النيل عن خمسة عشر ذراعاً وأربعة أصباع، فارتفعت الأسعار وتضاعفت أثمان البضائع، ونقص الخبز نتيجة لارتفاع سعر القمح، وفي السنة التالية نقص ارتفاع النيل حتى وصل ثلاثة عشر ذراعاً، فازداد الغلاء واشتعلت الفوضى بين الناس، ووقع النهب في الضياع والغلال وجدير بالذكر أنه دائماً ما ارتبطت المجاعات التي تنتج عن اضطراب مياه النيل بانتشار الأوبئة الفتاكة بين العامة، وذلك بسبب انعدام الوعي وإلقاء الموتى في النيل، فيتلوث الماء الذي يشربونه بتحلل هذه ويفسر لنا المقريزي، بأنه عند ما يزيد ماء النيل تكثر زيادة الرطوبة والعفن، وعندما تقل زيادته يجف الهواء، مما يجعل الناس يشعرون بعطش شديد فيضطرون إلى شرب مياه رديئة، أو عندما تحدث فتن أو حروب، بمصر أو السودان ويموت خلق كثير وتتعفن الجثث، فيتعفن الماء وبالتالي يحدث الوباء ، وإلى ذلك كانت الكوارث الطبيعية التي يقصد بها الآفة التي تصيب الغلال كهبوب الحنت ريح تتلفها أو جراد يأكلها، وبالتالي تتناقص الغلات ويؤدي إلى حدوث الأزمات الاقتصادية ( )[١]

.العوامل البشرية

تعود إلى سوء تدبير الزعماء والحكام وغفلتهم عن النظر في مصالح العباد؛ لأن كثير منهم يتقلدون المناصب القيادية في الدولة كالوزارة والقضاء ونيابة الأقاليم وولاية الحسبة وغيرها، وهم غير مؤهلين لهذه المناصب، وقد حصلوا عليها إما عن طريق القوه أو الرشوة، وبدلا من أن يهتموا بمصالح العباد وخطورة الأوضاع نراهم يهونون من شأنها ولا ينظرون إلا تحت أقدامهم وتحقيق مصالحهم الخاصة فقط ( )[٢]

( ) المقريزي ،الخططج ١ص٤٧٦،٤

( ) المقريزي ، اغاثة الاصق١٥,٢٢ ١

(٣) المصدر نفصق١٦,١٥, ٣ ١

كما يمكن إرجاع المجاعة والغلاء إلى اضطراب الأحوال، وانتشار الفوضى وبروز اللصوصية، ومدى استغلالهم لضعف السلطة المركزية وإدارة الدولة ، وكذلك الطمع عند بعض التجار إن لم يكن جلهم وبذلك احتكارهم وتلاعبهم بالأسعار، ورفعها دون النظر إلى ما يقاسيه الفقراء والبسطاء، فضلاً عن اختلاف الأمن وانتشار السلب والنهب [1] ، ولا يمكن إغفال دور التهديد بالغزو الخارجي في ارتفاع الأسعار، إذ قام القرامطة [2] بغزو بلاد الشام ونجحوا في هزيمة الجيش الفاطمي بدمشق سنة ٣٦٠هـ/٩٧١م، بل وحاصروا القاهرة وانهزموا عنها سنة ٣٦١هـ/٩٧٢م [3] . وكذلك عديد الثورات التي حدثت من سوء الإدارة الفاطمية آنذاك، فمثلاً ثورة أبي ركوه [4] التي كان بها أثر كبير في زيادة الأسعار واشتداد خوف الناس بخروج العساكر لحربه، وبات الناس في الشوارع خوفاً من هجوم أبي ركوة وعساكره عليهم، واستمر القتال وضربت الفيوم ونهبت، وقد كلفت هذه الحرب ميزانية الدولة الكثير من الأموال للقضاء على هذه الثورة [5] .

وقد لعب العنصر البشري افتعال الأزمات، وخصوصاً من كان له القوة والسيطرة، وذلك للحصول على المال والطمع في السلطة وخصوصاً بين عناصر الجيش، فمثلاً عنصر السودان كان لهم دور خطير، حيث كانت زوجة الخليفة الظاهر سودانية فاستمدوا قوتهم إلى جانب انشغال الخليفة بملذته، فاضطربت عامة الناس وخاصة التجار منهم بعد أن سولت نفس بعض

( ) أحمد السيد الصاوي، مجاعات مصر الفاطمية، دار التضامن للطباعة، بيروت، ط ١، ١٩٨٨م، ص ٣٠

( ) القرامطة تم تسميتهم بالقرامطة نسبة إلى رجل يقال له حمدان قرمط، وقد استجاب لدعوته رجال فسموا قرامطة وقرمطية، الغزالي، أبي محمد فضائح الباطنية، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٩، ص ٢٢

( ) عبد المنعم ماجد، ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها، دار القاهرة د.ط، ١٩٦٨م، ص ١١٥.

( ) أبو ركوة ادعى أنه من بني أمية وخرج سنة ٣٩٦هـ/١٠٠٥م في عهد الحاكم بأمر الله والتف حوله بعض العربان والقبائل مثل بنو قرة ولواتة ومزته وزناتة، وأخذ برقة وهو ما الحاكم فخرج لقتاله فضل بن صالح فهزمه أبو ركوة، واضطرب المصريون وزادت الأسعار وصل إلى الجيزة فخاف الناس وباتوا في الشوارع، ينظر المقريزي، الخطط، ٢٨٦/٢

( ) الأنطاكي، يحيى بن سعيد، صلة تاريخ أوتيخا، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، جروس برس، لبنان، د.ط، ١٩٩٠م، ٢٦٧/٢

زعماء الدولة لهم أن يصادروا التجار، فلذلك افتعلت الأزمة، واشتد الغلاء وفشت الأمراض ومات الكثير من عامة أهل مصر [١].

وفي خضم الفوضى والفساد عات الجنود السودانيين فساداً طلباً للمال حتى وإن آل الأمر إلى نهب الناس، كما نهبوا خزانة السلطان، وكانوا قد طلبوا المبالغ الكبيرة بحجة حماية الدولة [٢]، وهم من كان مسؤولاً عن تلك الأزمات التي آلت إلى الجوع والفقر . وقد وصف المؤرخ المسيحي، تفاقم الأزمة حتى أن الناس انشغلوا عن الاحتفال بليلة الميلاد ولم يستطيعوا ممارسة عاداتهم في شراء الفواكه والحلوى لكثرة تفشي المرضى والوباء والموت فيهم، حتى أنه لم يكن يخلو منزل من المرض وأوجاع الدم [٣] .

وإلى جانب ذلك كان للتجار وسماسرة الغلال وطوائف المحتكرين والمربيين دور في وقوع الأزمات، فقد اتبع هؤلاء عادة شراء المحصول من المزارعين قبل أوان الحصاد، فإذا جمع المحصول كلفوا وكلائهم في الأرياف بنقلها إلى المخازن المعدة لهذا الغرض، وهؤلاء كانوا ينتهزون أتفه الأسباب، فيحجزون الغلال عن السوق حتى يرتفع سعرها تبعاً لقانون العرض والطلب، ويرغموا الحكومة على تعديله لصالحهم [١] ؛ لذلك تفشت وتزامنت تلك الأزمات وما نتج عنها من سلبيات في المجتمع المصري وخصوصاً عند تزامن الجانب البشري مع العامل الطبيعي الذي يُعد أصل الأزمة وتفشي ظواهرها

ثانياً: الأزمة الاقتصادية في خلافة المستنصر بالله

عاشت مصر في أول عهد الخليفة المستنصر بالله حالة من الرخاء وسعة العيش، فقد ظهر ذلك واضحاً من خلال وصف كثير من الرحالة والمؤرخين لثروة الخليفة والناس، فإذا جئنا إلى ثروة الخليفة فقد كان له عمائر كثيره تدر عليه المال الوفير، فقد شاهدها ناصر خسرو خلال رحلته إلى مصر ٤٣٨هـ/١٠٤٦م وقدرها بحدود ثمانية آلاف بيت وعشرون ألف دكان يؤجرها، وكان إيجارها يتراوح بين عشرة دنانير إلى دينارين شهريا فضلاً عن امتلاكه لمجموعة من الأربطة

( ) المقريزي، اتعاظ الحنفاء ١٤٩, ٢١

( ) المقريزي، الخطط ٣٥٤, ١ ٢

( ) المسيحي، المصدر السابق، ص٤٨

( ) راشد البراوي، حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، د.ط، ١٩٩٨، ص ٨١

والحمامات والأبنية الأخرى الكثيرة التي لا حصر لها وكثير من قطع الأراضي الزراعية [1] ، وأشار أيضاً أن الخليفة كان يحصل على الأموال الكثيرة من خلال اشتغاله بصناعة النسيج إذ كانت لديه مصانع تصنع فيها أنواعاً الأقمشة الحريرية الموشاه وغيرها، وكان العمال يعملون في هذه المصانع برضاهم لا عن طريق السخره [2] ، وهنالك مورد آخر كان يدر على الخليفة الأموال الوفيرة ألا وهي الخمس من كنوز مختلفة مصر القديمة، يقول المقريزي بمصر" كنوز يوسف – عليه السلام وكنوز الملوك من قبله والملوك من بعده لأنه كان يكنز ما يفضل من النفقات والمؤن لنوائب الدهور "[3] .

أما عن ثراء الناس يذكر المؤرخ ناصر خسرو أنه رأى بعينه أموالاً يمتلكها بعض المصريين من المسلمين والنصارى لو ذكرها أو وصفها لما صدقها أحد من العالمين وضرب مثلاً على ذلك إذ بين أنه في سنة ٤٣٩هـ/١٠٤٧م ولد للخليفة ولد فأمر الناس بإقامة الأفراح فزينت المدينة والأسواق بزينة كثيره [4] ، وقد وصف خسرو أسؤاق مصر في بداية خلافة المستنصر بالله بأنها كانت أسواق عامرة بجميع أصناف المواد الغذائية من البقوليات والخضراوات والفواكه، وجميع أنواع الزهور، وهذا يدل على رخاء وغنى الناس [5] .

مما تقدم يتضح أن مصر ق عاشت في المدة الأولى من خلافة المستنصر بالله برخاء، فضلاً عما كان بمصر من الكنوز والدفائن التي زادت الرخاء رخاء.

ثالثاً: مجاعات ما قبل الشدة المستنصرية

بعد أن عاشت مصر في بداية خلافة المستنصر بالله في بحبوحة من العيش وسادها الهدوء والاستقرار، لكن البلاد وبعد مدة وبالتحديد في سنة ٤٤٤هـ / ١٠٥٢م، اصابها شر مستطير، فقد تعرضت إلى أزمة اقتصادية خانقة ناتجة عن قصر مياه النيل عن الحد اللازم لري الأرض،

( ) ناصر خسرو، المصدر السابق، ص ٨٨، ٨٩ ٨المصدر نفسه، ص ٨٩

( ) المصدر نفسه، ص ٨٩ ٢

( ) المقريزي، الخطط٨٦، ١ ٣

( ) ناصر خسرو، المصدر نفسه،٤ص ١٠٥.

( ) المصدر نفسه، ص١٠٦ ٥

فارتفعت الأسعار ثم حدثت المجاعة التي صاحبها الوباء وكثيرا ما كانا متلازمين، إذ بعد انتشار القحط تحل الفوضى وتكثر الجرائم [١] .

وهناك سبب آخر لهذه الأزمة يعود إلى تدخل أم المستنصر بالله في الحكم وسياستها في تقريب الوزراء وتغيير هم، مما أضعف سياسة الدولة، خصوصا في عهد وزارة أبي محمد على البازوري الذي تقرب من ام المستنصر ، قنال منصب اعمال ديوانها، وتولى الوزارة، فقد وقعت المجاعات في وزارته سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م، وفي سنة ٤٤٦هـ / ١٠٥٤م وفي سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م، وفي سنة ٤٤٨هـ/١٠٥٦م، وسنة ٤٥٠هـ/١٠٥٨م [٢] . ادرك الوزير اليازوري خطّاه فحاول معالجة الأزمة معالجة ارتجالية فقام بمصادرة ما في مغازي التجار من خلال وختم عليها، وأودعها في المخازن السلطانية [٣] ، كما عمل اليازوري على استيراد القمح وذلك بالتفاوض مع ملك الروم قسطنطين التاسع، ولكن بعد وفاته ومجيء ثيودوره" عافت إصدار القمح إلى بلاد مصر [٤] ، وهكذا تم القضاء على هذه الأزمة فترة مؤقتة فتوسع الناس لمدة عشرين شهر [٥] ، إلا أنه عادت تلك المجاعات من جديد وخاصة بعد تدخل أم المستنصر في الحكم، خاصة بعد وفاه اليازوري، فكان قد عم الفساد، والجوع والغلاء بحيث لم تستطع أم المستنصر أن تعالج تلك المجاعات أنذاك، وقد لاحظ المقريزي ذلك عندما ذكر إن سبب استفحال المجاعات هو اختلال أحوال المملكة وضعف السلطة المركزية [٦] .

وقد تأزمت أمور الدولة الفاطمية إبان عهد الخليفة المستنصر بالله وسوء إدارته، وتحققاً لطمعه السياسي وسيطرته على مناطق أخرى، فكان قد دخل في حروب خاسرة وبتكاليف باهظة من الأموال في حين يمكن النظر في حالة شبعه الذين يعانون الويلات، فكان على سبيل المثال، قد دخل في حرب مع الروم عندما رفضوا تقديمهم ومساعدته بالقمح شريطة إرسال جنود لحماية

( ) محمد بنعلي بن يوسف بن جلبك بن مبسر المنتقى من تاريخ مصر، تحقيق: أيمن فؤاد السيد المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، ،د.ط ١٩٨١م، ٢المقريزي، اتعاظ الحنفاء٢٢٤، ٢

( ) المصدر نفسه، ٧٦، ٢ ٢

( ) المقريزي، اتعاظ الحنفاء ٢٦، ٣؛ المقريزي، إغاثة الأمة ٤٩، ٥١

( ) ساويرس بن المقفع، تاريخ البطاركة، تحقيق: عبد العزيز جمال الدين مكتبة مذبولي، القاهرة، ط ١، ٢٠٠٦، ٣٢م٣

( ) المقريزي، إغاثة الأمة، ص ٥١؛ الاتعاظ٢٢٦، ٢

( ) المقريزي، إغاثة الأمة، ص٢ ٤

البيزنطيين، غير ان المستنصر بالله رفض ذلك، واحد جيشاً لغزو بلاد الروم والتي نال فيها خسارة كبيره [1] ، كانت قد حدثت بعدها مجاعة سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م تزايد فيها الغلاء حتى بلغ كيس القمح ثمانية دنانير، وصار الخبز طرفة وكثر الموت في هذه المجاعة، وبذلك كثر الوباء [2] .

فهذه المجاعات زاد من حدتها انتشار الأوبئة والأمراض، لا سيما الجدري الذي مات به كثيرون، إذ يذكر ابن تغري بردي " في يوم مات ثمانية عشر ألف، وكان المستنصر بالله يكفن بالعشرين ألفا على حسابه، ويبدو أنه فني ثلث أهل مصر [3] .

مما تقدم ذكره يمكن القول أن ازدياد حدة المجاعات في حكومة الخليفة المستنصر بالله قبيل الشدة المستنصرية، خصوصاً بعد وفاة الوزير اليازوري، كانت إيذاناً بقيام الفوضى وازدياد المجاعة، حيث تعاقبت الوزارات في الحكم دون أن تكون لها من النفود ما تكبح به الجند الذين زادوا حدة الفوضى والأزمات والتي سنتناولها فيما بعد.

---

[1]) أحمد الصابي، المرجع السابق، ص ٦٣.

[2]) المقريزي، اتعاظ الحلفاء ٢٣٠, ٣

[3]) ابن تغري بردي، المصدر السابق، ٦٠, ٥

المبحث الثالث

الشدة المستنصرية أسبابها

اصطلح على معرفتها باسم الشدة المستنصرية نظراً لحدوثها في خلافة المستنصر بالله الفاطمي، ومدتها سبع سنين ٤٥٧ – ٤٦٤هـ / ١٠٦٥ – ١٠٧٢م، وتعد أزمة عنيفة لم تر لها البلاد مثيلاً في العصر الفاطمي كله، وروعت الناس وجشمت على صدورهم ككابوس مخيف، فكان لها انعكاسات على سياسة الدولة الفاطمية

أولاً: أسبابها

١. ضعف السلطة المركزية:

يرجع سبب هذه الشدة التي آلت إلى أكبر المجاعات في العصر الفاطمي إلى ضعف شخصية المستنصر الذي ولى الخلافة وعموره سبع سنوات [١] ، فلذلك لم يستطع الخليفة بعد أن شب عن الطوق أن يستخلص صلاحياته من براثن الوزراء ورجال الإدارة والجند، مثلما فعل جده الحاكم بأمر الله وظاهرة ضعف سلطة الخليفة التي أطلعت برأسها على استحياء في عهد الظاهر ظهرت هنا مكتملة الأبعاد، وكان قد وردها المقريزي على رأس العوامل التي أفضت إلى الشدة المستنصرية [٢] ، كما حال ضعف الخليفة[٢] دون سيطرته على طموح القواد ورجال البلاط الذين أخذوا يحبكون الدسائس، فلم يكن لهذا الخليفة من الحزم وقوة الشخصية ما يجعله قادرا على كبح جماح أصحاب الأطماع ومديري الفتن وليس هناك أدل على الفوضى واختلال الأمر وضعف الحكومة المركزية من أنه ولي الوزارة أربعون وزيرا في تسع سنوات، وكان البعض منهم يصرف بعد أيام قلائل بل بعد يوم واحد من تقليده هذا المنصب [٣] .

( ) أبي العباس شمس الدين أحمدابن محمد بنخلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار النهضة المصرية، القاهرة، دط، ١٩٩٨م، ٤،٣١٧

( ) المقريزي، إغاثة الأمة، ص٣ ٢

( ) راشد البراوي، المرجع السابق، ص٣ ٨٨

وعن ذلك ورد عن ابن الصيرفي إلى سوء الإدارة عند تولي أحد الوزراء وهو "العجمي" سنة ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م فيقول "وليها والعزائم قد وهت وأسباب الفساد قد بلغت الغاية وانتهت، والمراقبة قد نزرت وقلت والمهابة قد تلاشت واضمحلت" [١] .

٢- تزايد نفوذ العسكر

نشأ عن ضعف الخليفة، وتدهور نفوذ وزرائه فراغ سياسي، لم يملأه سوى العسكر، فقد كانوا بحكم تنظيمهم العسكري هم القوة الوحيدة في البلاد التي يمكن أن يكون لها صدى في تقرير أمور البلاد، سواء لاعتبارات تملك السلاح والقوة أو سهولة التحرك بأوامر قادتهم، ووجد العسكريون على اختلاف طوائفهم في ضعف وتردي إدارة البلاد فرصتهم المواتية لتوسيع رقعة نفوذهم، وزيادة نصيبهم من ثروات البلاد، فطالبوا بزيادة رواتبهم والحوا في ذلك حتى خلت خزائن الدولة، والتجأ الخليفة إلى بيع محتويات خزائنه لأجل تسديد رواتبهم، فأخذوها بأبخس الأثمان، ثم تمادى بهم الحال فاقتسموا ربع الأراضي المزروعة [٢] ، وبدأ صعود العسكريين السياسي منذ سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨ [٣] .

٣-الصراع بين طوائف الجيش

عند مجيء الفاطميين إلى مصر ٣٥٨هـ/٩٦٩م كان المغاربة المكون الوحيد للجيش ورجال الدولة حيث اهتم الفاطميون بالقبائل المغربية القادمة معهم من شمال أفريقيا، ومنحوهم الثقة واستعملوهم في الوظائف العليا في الدولة، فاستفحل أمرهم حتى طغوا على سلطة الخلفاء الفاطميين الذين بدأوا يستشعرون خطرهم، ومن ثم كان تفكيرهم في استبدال العناصر المغربية بعناصر أخرى كالصقالبة والأتراك والسودان، مما أشعل نار الصراع بين هؤلاء جميعا [٤] ، فكانت أقسام الجيش الفاطمي كالتالي

( ) أمين الدين أبو القاسم علي بن اميخب بن سليط نبن الصيرفي الإشارة لمن نال الوزارة، تحقيق: أيمن فؤاد السيد الدار المصرية اللبنانية، د. م د.ط ،د ت ص ٥٠

( ) أحمد الصا ي، المرجع السابق٢، ص ٥١

( ) المقريزي، إغاثة الأمة، ص ٣٢، ٢٣ المقريزي اتعاظ الحلفاء ٢٦٢،٢٦٣

( ) نجوى كمال كيرة، الجواري والغلمان في مصر في العصرين الفاطمي والأيوبي، مكتبة زهراء الشرق القاهرة، د ط، ٢٠٠٧م،١٩٥

١. . العناصر المغربية وتضم قبائل البربر التي انتقلت إلى مصر مع الفتح الفاطمي وهي كتامة – مصمودة – زويلة – البرقية.

٢. . العناصر المشرقية وتضم عناصر اصطنعها الخلفاء الفاطميين في مصر مثل: الأتراك، الديلم، الأرمن الأكراد.

٣. . الرقيق الرقيق البيض وهم الصقالبة، والرقيق السود وهم السودان [١] .

فكانت مكونات الجيش الفاطمي، كثيراً ما تقع بينهم الفتن والمشاكل، وذلك بحسب استخدامهم في البلاط الفاطمي من بعض الخلفاء وحواشيهم، ولعل أكبر صراع وفتنة هي التي وقعت بين طائفتي العبيد والأتراك، وكان قد برز في هذا الخضم شخصيتان لهما أثر كبير في إحداث هذه الفتنة وتطورها، ونقصد بذلك الطرف الأول أم المستنصر، وكانت في الأصل جارية من عبيد الشراء، والطرف الثاني ابن حمدان [٢] ، الذي تزعم الأتراك، وقدّ دفع . ، ام المستنصر إلى الإكثار من شراء الجنود السود حتى صار عددهم كبير، وأولتهم عطفها وتأييدها [٣] .

ولم يكن لابنها من بعد النظر القدر الذي يسمح له بإدراك العواقب التي تترتب على هذه السياسية، واصبحت بذلك تحرض العبيد على الأتراك الذين كانوا قد استنكروا من قبل الخليفة المستنصر، حتى ظهر التنافس والتشاحن بينهم، مما كان له أسوء الأزمة في حالة مصر الداخلية [٤] ، فكانوا قد اشتبكوا في عُدة وقائع انتهت باندحار العبيد عند الجيزة وتقهقرهم إلى

( ) عبد الرحمن زكي، الجيش المطري في العصر الإسلامي من الفتح العربي إلى معركة المنصورة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، دط،د،ت،ص ٨٧.

( ) هو محمد الحسن بن أبي عبد الله الحسين بن حمدان، من نسل الحمدانيين الذين هربوا إلى مصر بعد قضاء البويهيين على دولتهم في الموصل فجعل المستنصر ابن حمدان من كبار قواده وعينه في ولاية دمشق سنة ٤٤٣ هـ، ١٠٤١م، كما منحه لقب ناصر الدولة، ولكن استداد ناصر الدولة في الدولة الفاطمية ظهر منذ أن تزعم الأتراك، وبدأت زعامته لهم في الانحياز ضد العبيد الذين كانت تناصرهم أم المستنصر بالله ينظر: عبد المنعم ماجد الإمام المستنصر بالله الفاطمي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة د.ط، ١٩٦١، ص ١٧٤

( ) راشد البراوي، المرجع السابق، ص ٨٩

( ) محمد جمال الدين سرور، الدولة الفاطمية في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، دط، ٢٠٠٥م، ص ١٠١

الصعيد فعاثوا فيه فسادا [1] ، وأسفر هذا النزاع عن ضياع هيبة الخليفة الفاطمي وسلطته على البلاد التي أصبحت قسمة بين العبيد في الصعيد، و"ناصر الدولة في الوجه البحري، ثم ما لبث ناصر الدولة أن دخل الفسطاط وسيطر عليها ولم يعد للمستنصر حياله حول ولا قوة، فبالغ ناصر الدولة في إهانة الخليفة وأمه وأمسك بزمام الأمور حتى دبر الأتراك مقتله سنة ٤٦٥هـ/١٠٧٣م [2] .

وعلى أية حال قد انعكست هذه الأحداث على الأسعار فتصاعدت تصاعداً خطيراً حتى وصل سعر القمح سنة ٤٦١هـ/ ١٠٦٩م إلى مائة دينار للأردب الواحد، وعظم الجوع وامتدت أيدي الجند إلى نهب الأهالي، وفر كثير من أهل القاهرة والفسطاط إلى الشام والعراق والمغرب، وقيل أن أم المستنصر نفسها فرت إلى بغداد [3] ، وعظم البلاء بالعامة وآلخاصة، ولم ينج منها المستنصر نفسه الذي آل أمره إلى أن باع كل ما في قصره من ذخائر وتحف وتياب وأنات وسلاح، وصار يجلس على حصير [4] .

ويمكن القول بأن العامل البشري له دور عميق في إطالة عمر هذه الأزمة والتي كانت من سنة ٤٥٧هـ إلى ٤٦٤هـ وكان هذه السنين السبع يمد النيل فيها ويطلع وينزل، فلا يجد من يزرع أراضي مصر من اختلاف العسكر وانقطاع الطرقات في البر والبحر إلا بالخفارة الثقيلة، ولم يكن هذا الغلاء الشديد راجعا في معظمه إلى قصور النيل، وإنما كان السبب الأساسي اختلاف الكلمة وانعدام الأمن والحروب الناشئة بين طوائف الجند، وصارت الأراضي بائره، لم تزرع من عدم الرجال، فكان الجندي يخرج بنفسه هو جماعته يحرثون ويزرعون في البلاد لعدم وجود الفلاحين [5] .

( ) محمد بركات البيلي: الأزمات الاقتصادية وأثرها في مصر الإسلامية مكتبة نهضة الشرق، مطبعة جامعة القاهرة، القاهرة، ص ٩٠

( ) ابن ميسر: مصدر سابق ٢٢,١٨.

( ) المصدر نفسة ٢٠,٢١,٢٢ .

( ) المقريزي، إغاثة الأمة، ص٤٥

( ) محمد بن أحمد ابن إياس الحنفي، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، ط٢، ٢٠٠٨م، ج١، ص٦

من خلال ما تقدم يمكن القول بأن العوامل الطبيعية لم تكن عامل رئيس في سنين الشدة المستنصرية حيث لا تستطيع أن نقول على نقصان منسوب نهر النيل، بل أن النيل قد بلغ حد الوفاء في بعض سنين الأزمة، لذا فإننا لا نحمل العامل الطبيعي الجزء الأكبر من تلك الأزمة العتية، وهذا ما أكده عديد

المؤرخين [1] ، كما رأينا سابقاً بأن العوامل البشرية هي الرئيسية في حدوث الأزمات والمجاعات زمن الخليفة المستنصر بالله وأنها تحتل مكان الصدارة في أسباب الشدة

ثانياً: مظاهرها

١ . غلاء المعيشة

د كان من أول مظاهر الأزمة ظاهرة الغلاء وارتفاع أسعار الحبوب والمواد الغذائية ارتفاعاً كبيرا، وقد النويري في هذا الشأن أن رغيف الخبز بيع بأربعة عشر دينار، وبيع أردب القمح بمائتي دينار [2]

واشتد الغلاء حتى بيعت البيضة بعشرة دراهم [4] ، وأكل الناس الجيف [3]، فوقف الناس في الطرقات يقتلون من يظفرون به وأكل القوم بعضهم بعضاً [5] ، وذلك لتأزم المجاعة والقحط الشديد، ويحدد المقريزي بأن الغلاء تامن مع بداية الشدة المستنصرية ويصفه بقوله "الغذاء الذي فحش أمره وشنع ذكره، وكان آمده سبع سنين [6] ،

( ) المقريزي، إغاثة الأمة، ص ١١٩، ٢٥، ابن الصيرفي، المصدر السابق، ٧٦؛ ابن إياس الحنفي، المصدر السابق، ٢٤, ١، ٢٥

( ) شهاب الدين أحمد النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق نجيب مصطفى فواز وحكمت فواز، دار الكتب العلمية، بيروت، د.ط ٢٠٠٤، ٢٦،٢, ٦٩

( ) المرجع نفسه، والصفحة. ٣

( ) ابن ميسر، المصدر السابق، ص ١٩.

( ) المقريزي، الخطط٣٣٧, ١ ٥

( ) المقريزي، إغاثة الأمة، ص ٢٦٩.

في حين يذكر السيوطي على أنه في سنة ستين وأربعمائة كان ابتداء الغلاء بمصر الذي لم يسمع بمثله في الدهور من عهد يوسف الصديق – عليه السلام واشتد القحط والغلاء والوباء سبع سنين متوالية [1]

. ٢ الفوضى واللصوصية

صاحبت ظاهرة الفوضى واللصوصية، واخلال الأمن وانعدامه هذه الشدة، وهذا كان من ضعف الحكومة، حيث عمت السرقات والنهب وتهيأت الفرصة أمام الأشرار، وقطاع الطرق، وفقراء البدو ولم يتورع أحد عن الاعتداء على غيره، أما السبل وطرق المواصلات بالبر والنيل فانقطعت بسبب

تعرض المسافرين وغيرهم لاعتداء الجند واللصوص، وخربت احياء باكملها في الفسطاط وحرفت دور كثيرة بها وتعطلت التجارة والصناعة [2] .

وفي الخضم ذاته قد أصبح الضعف السياسي بيئة حاضنة للفوضى التي أسهمت بتواجد اللصوص ودعمهم أحياناً للمصالح السياسية والدفاعية خصوصاً بعد ظهور الصراعات والفتن بين طوائف الجيش الفاطمي.

وقد تفشت ظاهرة السرقة حتى امتدت أيديهم إلى قصر الخليفة وتم تجريده من كل سلطاته وأمواله واسقطت هيبته أمام الرعية، وأجبره ابن حمدان والأتراك على أن يبيع ما في خزانته حتى أمست خزائنه فارغة [3] ، وقد فقد الخليفة المستنصر كل ثرواته من الذهب والفضة والجواهر والأمتعة، كما نهبت المكتبات وسرقت الكتب وبيعت باتمان بخسة، وبلغ الأمر بابن حمدان أنه أخذ يراسل الدول الأخرى باعتباره صاحب ،مصر، فاهدى سنة ٤٦٣هـ إلى متملك الروم هدية

( ) جلال الدين عبد الرحمن السيوطي، حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العلمية، القاهرة د.ط، ٩٦٨ م ٢ ,٢٨٧،٢٨٨

( ) راشد البراوي، المرجع السابق، ص ٩٥، ٩٦

( ) أحمد الصاوي، المرجع السابق، ص ٨٢ المقريزي خطط ٤١٥، ١، ابن ثغر البردي، النجوم الزاهرة، ٤، ٥

جليلة تساوي نحو أربعين ألف دينار تشمل أواني البلور والأنواع الفاخرة من الثياب، ويبدو ذلك مما نهب من خزائن القصر [1].

وأشار المقريزي عن عملية النهب التي لحقت بالشدة المستنصرية فيقول: "ويتعجب بأن الحكومة كانت تغض الطرف عما ينهبه الجند من قصور الخليفة، لئلا يمتد شرهم إلى الشعب، فيزيدونه بؤساً وشقاء، فلم تعترضهم الدولة، ولم تلتفت إلى قدر الكنوز التي كانوا ينهبونها، بل جعلتها هي وغيرها فداء الأموال المسلمين، وحفظاً لما في منازلهم [2]، ولعل الحكومة كانت تبغي بسكوتها هذا أن تتق شر ثورة الشعب، وقيام حرب أهلية، تهلك الحرث والنسل [3].

٣ . الأوبئة

حلت ببلاد مصر أثناء خلافة المستنصر بالله مجموعة من الأوبئة، كانت ذات تأثير واضح، معظمها كان مصاحباً للمجاعات، وكان قد عم الوباء والقحط في عهد المستنصر بالله منذ سنة ٤٤٦ هـ / ١٠٥٤م، وكان أطول وباء عرفته مصر في العصور الوسطى، وامتد حوالي ثماني سنين من سنة ٤٤٦هـ إلى ٤٥٤هـ / ١٠٥٤ – ١٠٦٢ [4]، فكانت في هذه السنين قد حل بمصر مجاعة كما ذكر أنفاً وباء شديد، أودى بحياة الكثيرين وخاصة في عامي ٤٤٧هـ ٤٤٨هـ / ١٠٥٥ – ١٠٥٦ وكانت الوفيات تقدر يوميًا إلى ألف شخص [5]، ويذكر أن ثلاثة من اللصوص كانوا قد نقبوا بعض الدور أثناء سرقاتهم فوجودا عند الصباح موتى، أحدهم على باب النقبة، والثاني على رأس الدرجة، والثالث على كورها [6].

( ) القاضي الرشيد بن الزبير، الذخائر والتحف، تحقيق: محمد حميد الله، سلسلة التراث العربي، الكويت، د.ط، ١٩٥٩م، ص ٨٥، ٨٦

( ) المقريزي، الخطط ١، ٣٧٦ ٢

( ) المصدر نفسه، ٣٧٧، ٢ ٣

( ) حسن إبراهيم حسن، تاريخ الدولة الفاطمية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط ١، ١٩٨١، ص ١٧١.

( ) أحمد الصلابي، المرجع السابق، ص ٤٦.

( ) ابن تغري بردى المصدر السابق، ٥، ٩٥

وكان الجدري من أخطر الأمراض وأوسعها انتشاراً ، فقد حصدت أرواح تقدر يوميًا بثمانية عشر ألف وقيل أنه مات مليون وستمائة وخمسون ألف، فكانت الأسواق لا يرى فيها أحد [1] ، وعادت المصائب بعدها بسنوات ففي ٤٥٦هـ حل الطاعون بمصر فمات منه أعداد كثيرة تقدر بألف شخص يوميا [2] .

أما عن الأوبئة أثناء الشدة، فحدث ولا حرج، فقد شاعت الأمراض وانتشرت بين الناس، ومات بها الكثير، فلم تكتف الطبيعة بما حل بالناس من جوع بل زادتهم بؤسا وشقاء، كما لم يكتف الجند بما نزل بالناس من تصاريف الطبيعة، بل لجنوا إلى نهبهم وسلبهم ما يملكون، فقر من مصر سنة ٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م خلق كثير إلى الأمصار المجاورة، ففي خلال السبع سنين من الشدة جاء الوباء فحصد الأرواح بمنجله حصداً ذريعا، فكان يكتسح الديار دارا بعد دار، ولم يكن هناك فرق بين عظيم وحقير بل نالت المصيبة الجميع على السواء [3] .

ويصف ابن ميسر مصر من خلال هذه الظاهرة فيقول: "عظم الجوع وتزايد الموتان، واشتد الوباء بالقاهرة ومصر، حتى أنه كان يموت الواحد من أهل البيت، فلا يمضي اليوم أو الليلة حتى يموت جميع من فيه، وامتدت جدة السطو والنهب للعامة وخاصة من قبل أيدي الجند المتحكمين في حكومة الخلافة الفاطمية" [4]

. أما ابن أياس فيصف أحوال البلاد في تلك الأزمة فيذكر : فنى أهل مصر نحو الثلث، فكان الجندي يتوجه بنفسه، هو ومن بقي معه من خشداشيته [5] ، وينزل بلده، ويحرث هو وْخشداشيته ويزرعون من

( ) عبد المنعم ماجد الإمام المستنصر بالله، ص ١٥٩.

( ) ابن تغري بردي، المصدر السابق، ٥/ ٧٥.

( ) حسن إبراهيم حسن الفاطميون في مصر وأعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص، وزارة المعارف العمومية، القاهرة، د.ط ١٩٣٢ ص ٢٥٢

( ) ابن ميس، المصدر السابق، ص ٣٦

( ) خشداشيته تعني أتباعه وحاشيته، ومن هم تحت سيطرته

الأرض، واستمر هذا الفناء يعمل في الناس نحو عشرة أشهر ، حتى قيل كان الرجل يمشي من جامع ابن طولون إلى بابي زويلة، فلم تر في وجهه إنساناً يمشي في الطرقات"[1] .

واستمر الناس في معاناتهم، ففي سنة ٤٦٤هـ / ١٠٧١م وقع الوباء فألقى الناس موتاهم في النيل بغير أكفان أدى ذلك إلى تلوث المياه التي يشربها الناس [2] .

مما تقدم يمكن القول إن المظاهر السيئة كانت قد تبعت الشدة المستنصرية، وعدم علاجها والتصدي لأي خطر حل بالناس من مجاعات وأوبئة، كان مرده إلى ضعف شخصية الخليفة الذي كان قد اتبع اللهو وملذاته الخاصة، في حين أن بداية حكمه كانت الأحوال جيدة والناس في ترف خصوصا من حاشية هذا الخليفة، ولربما كان هذا هو السبب في الإهمال وعدم السيطرة على الحكومة والبلاط الفاطمي آنذاك.

كما يمكن القول بأنه اقتصرت بعض الحلول في أيادي الوزراء أنفسهم وخاصة في فترة الوزير اليازوري الذي تصدى لبعض المجاعات، وبعد وفاته لم يكن هناك وزير قوي لذلك تفاقمت الأوضاع على مختلف الصعد.

فبقى الحال كما هو عليه ولم تحل مشاكل الأزمة إلا بمقتل ابن حمدان سنة ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م وأن ظلت حالة البلاد في اضطراب حتى قدوم بدر الجمالي" إلى مصر سنة ٤٦٦هـ/١٠٧٣م [1] .

والدليل على ضعف الحكومة في أواخر عهد الخليفة المستنصر وضعف شخصيته في السيطرة على هذه المجاعات والتصدي لها، أنه عندما استدعى المستنصر بالله بدر الجمالي لم يمضي زمن طويل على وصوله وتوليه الوزارة حتى عاد الرخاء تدريجيًا، إذ ضرب الوزير الجديد على أيدي دعاة الفتنة وعناصر الشر والفساد بيد من حديد، وكان قد اهتم بالفلاحين وخفف عنهم

---

[1] ( ) ابن إياس الحنفي، المصدر السابق،٢١٨, ١

[2] ( ) المقريزي، اتعاظ الحلفاء٣٠٧, ٣

[1] ( ) أحمد الصا ي، المرجع السابق٣ ص ٦٨

أعبائهم، فهدات الأحوال واستقرت الأمور وعاد الفلاح المصري إلى حقله وعاد الإنتاج واستقرت الأسعار بالأسواق وسهلت المعيشة على العامة [١] .

نتائج الأزمة وآثارها

أولاً: نتائج الأزمة

كان لهذه الأزمة الطاحنة نتائج سياسية واجتماعية والقتصادية.

١ . **النتائج السياسية** والمتمثلة في الآتي:

ا **ضعف السلطة المركزية** هذه السلطة يكون نجاحها من عدمه المقياس لحالة البلاد وخاصة وقت المجاعات والأزمات التي يفترض أن تلعب دوراً مهماً في تحجيم الأضرار الناجمة عنها والتصدي إلى ما ينتج عن سلوك ومظاهر من جراء تلك الأزمة [٢]

ب **الهيمنة على السلطة** وجد العسكريون ضالتهم في السيطرة على البلاد، وخاصة في ظل الاضطراب الذي تزايد مع بداية الشدة المستنصرية، وهذا ما زاد الطين بلة من فوضى وسوء الفتن لأن الوجود العسكري كان بداخله طوائف مختلفة من الجند كلا حسب دعمه، الأمر الذي ثم فيه تجريد الخليفة من كل سلطاته وأمواله [٣]

ج **الانتقال إلى عصر الوزراء** وذلك لعدم تمكن الخليفة من السيطرة على زمام الأمور، فوجب استدعاء الوزير بدر الجمالي الذي استطاع أن يسيطر على الوضع في الحكومة أنذاك، فعادت البلاد إلى هيبتها، وبهذا انتقلت الدولة الفاطمية على عصر جديد وهو عصر الوزراء العظام الذي دشن فيه الوزير الجمالي عديد الاصطلاحات دون تدخل الخليفة فيها، وهذا العصر اتسم بسيطرة الوزراء واستبدادهم بمختلف الأمور ، ولم يكتف الوزراء بمنح

( ) راشد البراوي، المرجع السابق، ص ٩٦

( ) أحمد الصاوي، المرجع السابق، ص ٧٥

( ) المرجع نفسه، ص ٧٦

الاقطاعات لأنفسهم، بل تصرفوا في منحها للاستكثار من الأنصار حتى يتمكنوا من الوصول إلى مطامعهم الشخصية : في السلطة والرئاسة ( )[١]

٢. النتائج الاجتماعية

ا الانتقال والهجرة: فقد كانت فترة الشدة المستنصرية وما نتج عنها من أوبئة وأمراض معدية، الأمر الذي ساعد في هجرة الناس إلى خارج البلاد نتج عن ذلك خلخلة الكثافة السكانية خاصة في الأراضي الزراعية، وما أدى إلى الفراغ فيها، إذ تمكن بعدها الجند والعسكريون من محلهم أنذاك ( )[٢] .

ب كما يمكن أن نستنتج أن الغلاء المعيشي وتزايد معدلات الفقر في البلاد من خلال الفوضى العارمة والقحط أنت على تدني مستوى المعيشة حتى أصبحوا عاجزين عن قوت يومهم.

٣. النتائج الاقتصادية:

أ تضاءل إيرادات الدولة خلال سنوات الأزمة، حيث لم تعد تجبي وتدفع إلى بيت المال فصال عن زيادة الضرائب، ونكبة الزراعة، مما أدى إلى تفشي الفقر والجوع ونقص إيرادات الضرائب العقارية ( )[٣] .

ب من الخسائر التي منيت بها البلاد أثناء الشدة العظمى تلك النفائس التي أخرجت من قصور المستنصر بالله، وكذلك حلي ومعادن ثمينة وأواني ذهبية وغيرها ( )[٤] ، وما كان لذلك من انهيار النظام الاقتصادي بحيث يمثل الرصيد النقدي والعيني للخلافة الفاطمية ومن خلال هذه النتائج يمكن التطرق إلى الآثار المترتبة على هذه الشدة.

( ) أحمد الصا ي، المرجع السابق، ص ٢٢ ١.

( ) المقريزي، الخطط، ١ ٣٣٧، ٢

( ) المصدر نفسه، ١ ٤١٥، ؛ راشد البرا ي، المرجع السابق، ص٨ ٩

( ) المقريزي، الخطط، ١ ٤١٥، ٤

أولاً: الآثار السياسية

انت حالة الفوضى والاضطراب التي كانت تسود البلاد وقت المجاعات بسبب ضعف السلطة المركزية، إلى تسبب حالة الأمن بالبلاد وكثيراً ما يكون وراء اضطراب حالة الأمن طوائف الجند والعربان الذين استعانوا بقوتهم المسلحة للحصول على أكبر قدر من الغذاء والمكاسب المادية، فقد كان اضطراب الأمن، وانتشار السلب والنهب في الطرقات من المظاهر المصاحبة بصفة عامة والمجاعة التي حدثت في فترة الشدة المستنصرية بصفة خاصة ( ) [١].

فقد عاشت البلاد حالة من الفوضى الشاملة أثناء الشدة المستنصرية بسبب اضطراب الجند ومنازعاتهم و استدت أيديهم إلى النهب فخرج الأمر عن الحد ( ) [٢].

وقد كان الضعف السياسي الذي كان قائما فترة الشدة المستنصرية، ولما أحدثته الأوبئة والمجاعات ربما يكون قد أمد عمر النزاع الطائفي الفنوي والذي كان مدعوماً من وسط الحاشية والبلاط الفاطمي.

ومما لا شك فيه أن تأثير المجاعات والأوبئة والفوضى في الشارع الفاطمي كان ينذر بالتغيير السياسي، الأمر الذي جعل الخليفة يستنجد بالوزير بدر الدين الجمالي لأنقاد حالة البلاد في تلك الفترة، وبذلك أصبح الطريق والانتقال في السيادة الفاطمية من عصر الخلفاء إلى عصر الوزراء العظام وزراء السيوف والتقويض، وأصبح السلطان الفعلي منذ ذلك الوقت في ايديهم وتوارى الخلفاء في الظل ( ) [٣]

وتفشي الجوع والمرض في المجتمع المصري كان قد جلب الاختلال الأمني وانعدامه بصورة مطلقة فقد اشتد خوف الناس في ظل ذلك، لازدياد حالات الخطف والسطو على الناس أنفسهم، فكثر الخطف والقتل في الطرقات ليلاً ونهاراً فاصبحت الطرق والمواصلات البحرية النيلية غير امنة بسبب تعرض المسافرين

( ) أحمد الصا ي، المرجع السابق، ص ١٠١

( ) المقريزي، الخطط، ١ ٣٣٧، ٢

( ) محمد حمدي المنا ي، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، مكتبة الدراسات التاريخية، دار المعارف، مصر، د.ط، ١٩٧٠م، ص٣٣.

لنهب اللصوص واعتداء الجند ، وفي هذا الصدد يذكر ابن تغري بردي إذ يقول: "إن الجنود السودان يقفون في الأزمة يخطفون النساء بالكلاليب ويشرحون لحومهن ويأكلونها . وفي ذات السياق يُذكر أنه نزل أحد الوزراء من بغلة لعقل الغلام عنها لضعفه من الجوع، فأخذها ثلاثة فذبحوها وأكلوها أخذوا، وطلبوا فما أصبحوا إلا وعظامهم بادية، وقد أخذ الناس لحومهم فاكلوها ( ) ، وما آل إليه أيضاً من تأثير المجاعات حتى على بعض خواص الدولة وحواشيها، وهذا يذكر أن رجل دخل الحمام، فقال له الحمامي من تريد أن يخدمك، سعد الدولة، أو عز الدولة، أو فخر الدولة، فقال له الرجل انهزا بي فقال: لا والله انظر إليهم، فنظر فإذا أعيان الدولة ورؤساؤها صاروا يخدمون الناس في الحمام ( ) . وما تقدم من روايات سابقة قد تكون مشكوك في صحتها رغم المؤرخين كانوا قد تداولوها في كتبهم، إلا أنها يمكن أن تكون قريبة من الواقع أنذاك، تحمل وتعكس صورة المجاعات ومدى تأثيرها على الوضع السائد. اضلاً على أنه قد ترتب على هذه المجاعات اهتزاز هيئة الدولة، وكأنها جرس الخطر المحدق بانهيار الدولة الفاطمية، وذلك من خلال تأثيرها من السياسية الخارجية وحدود الخلافة في افريقية وصقلية وبدأت تفقد العديد من أراضيها وأماكنها، فقد توقف ضرب السكة باسم الخليفة المستنصر بالله في المغرب تحديداً المهدية حيث قطع المعز بن باديس الخطبة الفاطمية، وكذلك منذ سنة ٤٥٧هـ لم تضرب سكة باسم المستنصر في جزيرة صقلية، وأخر ما ضرب فيه سكة سنة ٤٥٦هـ ، وأرجع ذلك إلى عجز الخليفة المستنصر بالله عن أداء ما طلبه من أموال بسبب الشدة، نتج عن ذلك أن بان الثمنه قد تعاون وفتح الأبواب للفرنج ( ) ، كما انقطعت الدعوة الفاطمية بالحجاز، يذكر الذهبي "إن تمرد الحجاز يعود إلى زلة المصريين بالقحط والمجاعات المفرطة وانشغالهم بأنفسهم حتى أكل بعضهم بعضا " ( ) .

( ) ابن تغري بردي، المصدر السابق، ٥, ٢٠

( ) المصدر نفسه، ٥, ٢٣

( ) أحد الولاة المستقلين بالجزيرة يسعى إلى تمليك النورمان لصقلية، ينظر: أحمد الصلابي، المرجع السابق، ص ١١٧.

( ) شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، دار الكتب المصرية، القاهرة، د.ط، د.ت، ٦, ٢١٤

الخاتمة

ختاماً لهذه الدراسة نستخلص النتائج التالية:

١ يتبين من خلال الدراسة أن قصور نهر النيل لم يكن سببا حقيقيًا في انهيار اقتصاديات البلاد وظهور المجاعات، وإنما هناك عوامل أخرى كانت وراء هذه المجاعات، وهي تناحر وتنافس طوائف الجند هو السبب الأساسي في إشاعة الفوضى وتدهور اقتصاديات الدولة الفاطمة.

٢ لقد ضاعت هيئة الخليفة من تكرار حوادث ،المجاعات وبالمقابل تزايد القوة المؤثرة مثل رجال الدواوين والعسكر.

٣ يتضح لنا أن الحلول اللازمة اقتصرت في أيدي الوزراء أنفسهم، كما فعل الوزير اليازوري بقوة شخصيته يتصدى للجماعات التي وقعت قبيل الشدة، وأثناء الشدة لم يكن هناك وزير قوي فتفاقمت الأوضاع، فلم تحل إلا بقدوم بدر الجمالي

٤. يتراءى لنا أن العوامل البشرية أكثر تأثيراً من العامل الطبيعي في وقوع الأزمات، خصوصا بعدما لاحظنا أن النيل في بعض سنوات الشدة قد بلغ حد الوفاة.

٥. لقد تبين أن تدخل النساء في سدة الحكم – أم المستنصر هو الذي أربك المشهد السياسي وخصوصاً أن المستنصر ولي الخلافة وهو في عمر صغير.

٦. لقد استغل الوزراء ورجال الدواوين صلاحيات كبيرة من الخليفة حتى انتهى الأمر إلى تركز سلطات الحكم في أيدي الوزراء.

٧. أنت المجاعات في مصر إلى خروج العديد من الولايات التي كانت تابعة للدولة الفاطمية.

٨. كانت نتائج هذه الشدة صعبة على المصريين، إذ ساءت الأحوال وهجر الفلاحون قراهم وأهملت الزراعة وانقطعت الطرق وكسدت التجارة.

٩ . كانت المجاعات والأوبئة من أخطر الأزمات التي هددت حياة سكان مصر بصفة دائمة في الفترة الممتدة ما بين ٤٥٧ – ٤٦٤هـ/١٠٦٤ ١٠٧١م لتفرض حالة من اللااستقرار وانعدام الأمن الغذائي وتقهقر المستوى الصحي في مدن وقرى مصر على حد سواء، ونتج عن ذلك هجرة السكان وترك مواطنهم

١٠. تعتبر الحروب الداخلية خاصة بين فئة العسكريين من أهم الأسباب البشرية التي تمخض عنها حدوث الغلاء في الأسعار.

المصادر

قائمة المصادر:

١. الأنطاكي، يحيى بن سعيد (ت ٤٥٨هـ/١٠٦٧م). صلة تاريخ أوتيخا، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري جروس ،برس، لبنان، (دط)، ١٩٩٠م.

٢. ابن إياس الحنفي، محمد بن أحمد (٩٣٠هـ/٥٢٣م) بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، (دط)، ٢٠٠٨م.

٣. ابن ثغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن الأتابكي (ت ٨٧٤هـ/١٤٦٤). النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تحقيق: محمد حسين دار الكتب العلمية، بيروت، (دط)، ١٩٩٢م.

٤. الجوادري، أبو علي منصور (ت ٣٦١ هـ / ٩٧١م) .سيرة الأستاذ جوذروبة توقيعات الأئمة الفاطميين تحقيق محمد كامل حسين، عبدالهادي ابو شعيره (د.م)، القاهرة، (دط)، ١٩٥٤م.

٥. خسرو ناصر (ت ٤٨١هـ/١٠٨٨م) سفرنامة ترجمة يحيى الخشاب مطبوعات البنك العربي الدولي للمعلومات، القاهرة، ط٢، ١٩٧٠م.

٦. ابن خلكان أبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد (ت ٦٨١هـ/١٢٨٢م) وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان تحقيق حسان عباس دار النهضة المصرية، القاهرة، (د.ط)، ١٩٩٨م.

٧. الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان (ت ٧٤٨هـ/١٣٧٤م).تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، دار الكتب المصرية، القاهرة (د.ط)، (د. ت).

٨. ابن الزبير، القاضي الرشيد الذخائر والتحف، تحقيق: محمد حميد الله سلسلة التراث العربي، الكويت، (دط)، ١٩٥٩م.

٩. السيوطي ، جلال الدين عبدالرحمن (ت ٩١١ هـ / ١٥٠٥م).حسن المحاضرة في تاريخ مصر ،والقاهرة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العلمية، القاهرة، (دط)، ١٩٩٧م.

١٠. الشيرازي، هبة الله بن موسى (ت ٤٧٠هـ/١٠٧٧م).ديوان المؤيد في الدين الشيرازي، تحقيق: محمد كامل حسين (د.م)، القاهرة، (دط)، ١٩٤٩

١١. ابن الصيرفي، أمين الدين أبو القاسم علي بن منجب (ت ٥٤٢هـ/١١٤٧م).الإشارة لمن نال الوزارة تحقيق أيمن فؤاد السيد الدار المصرية اللبنانية (د.م)، (دط)، (دت).

١٢. ابن ظافر جمال الدين الأزدي (ت ٦٢٢هـ/١٢٢٦م).أخبار الدول المنقطعة، تحقيق: اندريه فريه ،(د.ن)، القاهرة، (دط)، ١٩٧٢م.

١٣. ابن الفلانسي، أبو يعلى حمزة (ت ٥٥٥هـ/١١٦٠م). ذيل تاريخ دمشق، تحقيق: امدروز، مطيعة اليسوعيين، بيروت، (دط)، ١٩٨٠م.

١٤. القلقشندي، أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ/١٤١٨م) صبح الأعشى في صناعة الأنشاء تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٧٨

١٥. الماوردي، أبي الحسن علي بن البصري (ت ٤٥٠هـ/١٠٥٨م).الأحكام السلطانية والولايات الدينية، تحقيق: عبدالرحمن عميرة، المطبعة المحمودية التجارية، القاهره (د. ت)

١٦. المسبحي، محمد بن عبيد الله (ت ٤٢٠هـ/١٠٢٩م).اخبار مصر، تحقيق وليم ج ميلور، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة، (دط)، ١٩٨٠م.

١٧. ابن المقفع، ساويرس (متوفى في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري أواخر العاشر الميلادي).

١٨. تاريخ البطارقة، تحقيق: عبد العزيز جمال الدين مكتبة مدبولي، القاهرة، ط١، ٢٠٠٦م. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م)

١٨. إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق: محمد مصطفى زيادة جمال الشيال (دن)، القاهرة، (دط) ١٩٩٠م

١٩. اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء تحقيق جمال الدين الشيال، القاهرة، (دط)، ١٩٩٦م.

٢٠ المواعظ لاعتبار بذكر الخطط والآثار، مكتبة الثقافة العربية، القاهرة، (د. ط)، (دت). ابن ميسر، محمد بن علي بن يوسف بن جلب (ت ٦٧٧هـ / ١٢٨٧م).

٢١ . المنتقى من تاريخ مصر، تحقيق: أيمن فؤاد السيد المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة، (دط)، ١٩٨١م

٢٢.النويري، شهاب الدين أحمد (ت ٧٣٢هـ / ١٣٣٢م).نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: نجيب مصطفى فواز حكمت فواز، دار الكتب العلمية بيروت (د. ط)، ٢٠٠٤م

ثانياً: المراجع العربية

١. البراوي، راشد حالة مصر الاقتصادية في عهد الفاطميين، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، (دط)، ١٩٩٨م.

٢. حسن إبراهيم حسن تاريخ الدولة الفاطمية، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط١، ١٩٨١م.

٣. الفاطميون واعمالهم السياسية والدينية بوجه خاص، وزارة المعارف العمومية، القاهرة، (دط). ١٩٣٢

٤. زكي، عبدالرحمن الجيش المصري في العصر الإسلامي من الفتح العربي إلى معركة المنصورة، ج١، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهره، (دط)، (دت).

٥. سرور، حمد جمال الدين الدولة الفاطمية في مصر، دار الفكر العربي، القاهرة، (دط)، ٢٠٠٥م.
٦. الشيخ، فائق البنداري الحياة الاقتصادية والمظاهر الاجتماعية للمغاربة في القاهرة في العصر الفاطمي، شركة نوابع الفكر (د. ط)، ٢٠٠٨م.
٧. الصاوي، أحمد السيد مجاعات مصر الفاطمية، دار التضامن، بيروت، ط١، ١٩٨١م.
٨. كيره، نجوى كمال حياة العامة في مصر في العصر الفاطمي، مطبعة زهراء الشرق القاهرة، (دط)، ٢٠٠٤م.
٩. الجواري والغلمان في مصر في العصرين الفاطمي والأيوبي، مكتبة زهراء الشرق القاهرة، (د.ط) ٢٠٠٧م
١٠. ماجد عبد المنعم،ظهور خلافة الفاطميين وسقوطها، د. (ن) ، القاهرة، (د. ط)، ١٩٦٨م.
١١. الإمام المستنصر بالله الفاطمي، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (دط)، ١٩٦١م. الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، مكتبة الدراسات التاريخية، دار المعارف، مصر، (د. ط)، ١٩٧٠م.
١٢. المناوى، محمد حمدى ، الوزارة والوزراء في العصر الفاطمي، مكتبة الدراسات التاريخية، دار المعارف، مصر، د. م١٩٧٠

ثالثاً: المراجع المعربة

١. بول، ستايلي: سيرة القاهرة ترجمة: حسن إبراهيم حسن علي إبراهيم حسن الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، د. ط، ٢٠١٢م.

رابعاً: الرسائل العلمية:

أحمد نبيلة محمد

١. الخدمات الطبية في مصر الإسلامية من الفتح العربي حتى الفتح العثماني، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الإسكندرية، كلية الآداب، نوقشت سنة ١٩٨٢م